**أ.د عبد الحميد بوفاس**

**جامعة عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة 2026/2025**

**مدخل**

لقد كثرت العلوم التي تتعامل مع اللغة ، وصار كل علم ينظر إليها من زاويته الخاصة ومن باب تخصصه واهتماماته ، فنشأت علوم أخرى لها وطيد الصلة باللغة ذاتها ، من ذلك : علم الاجتماع اللغوي ، وعلم النفس اللغوي، وعلم اقتصاد اللغة ، وغيرها من العلوم التي جعلت اللغة مادة لبحثها، فكان لعالم النحو رؤيته ، ولعالم البلاغة رؤيته، وكذا لعلماء الدين والسياسة والإعلام والفكر وغيرهم كثير ، رؤيتهم الخاصة ، فصارت اللغة قاسما مشتركا بين جميع العلوم .

ولعلّ السمة السابقة في الظاهرة اللغوية ، جعل وظائفها تتعدد بتعدد العلوم التي تشتغل عليها ، وبتعدد أيضا مجالات توظيفها وأغراض ذلك . وقد كان لزمن غير بعيد دراسة اللغة لذاتها ولأجل ذاتها ، قصد معرفة خصائص نظامها وجوهرها الذي تقوم عليه، فكان أن عزل ذلك الاتجاه من الدراسة اللغة عن المجتمع ، ما جعل أسئلة الفلاسفة في مطلع القرن السابع عشر تكثر حول ما الغاية من اللغة إن لم ندرسها في علاقتها بالشعب الذي يتكلمها ؟

ولذلك وجدت تلك الأفكار الداعية إلى ضرورة ربط اللغة بالمجتع صدى كبيرا ، حيث اعتبرت اللغة مؤسسة اجتماعية بامتياز ، ولا يمكن فصل اللغة عن المجتمع ، أو فصل المجتمع عن اللغة ، ولا يمكن دراسة أي مجتمع وفهم نظمه وعاداته وتقاليده وأعرافه وعقائده وتوجهاته وتطلعاته إلا بدراسة لغته ، فكانت اللغة هي بوابة فهم المجتمعات .

إن التصور السابق يقودنا إلى نفي كون اللغة ظاهرة فردية ، أي لا يمكن للفرد أن يصنع ما يسمى " لغة" ، لأن مصطلح لغة هو ما تم بالتواضع او الاتفاق عبر مسار تاريخي تجاوز مرحلة التجريب إلى مرحلة الوراثة .

وعليه فإن خروج أي فرد عن ذلك النظام المتفق عليه يؤدي به إلى النقد الشديد من طرف أبناء المجتمع الذي ينتمي إليه ، كما يؤدي إلى رميه بالغفلة والجهالة على حد تعبير عبد الواحد وافي.

ومن دون شك، فقد ظهرت اتجاهات لغوية اجتماعية غربية تأثرت بعلم الاجتماع أو بالأحرى بالأفكار التي أتى بها دور كايم ، من ذلك " (أنطوان مييه Antoine Meillet ) الذي ذهب إلى أن اللغة هي معطى اجتماعي في مقام تاريخي ثقافي .

وكذلك دافع اللغويون الروس ( في الحقبة السوفياتية من 1917 إلى 1990 ) أكثر من غيرهم عن الطابع الاجتماعي للغة .

ولعلّ مقولة (كارل ماركس) الشهيرة " إن الإنسان ليس تجريدا ولكنه حصيلة اجتماعية." يكشف بوضوح عن كيف تعكس اللغة الواقع الاجتماعي بمختلف معطياته.

إن الوعي بالطبيعة الاجتماعية للغة لم يعدم في الفكر اللغوي العربي عند القدماء ، حيث كانت هناك إرهاصات لم تختلف كثيرا عمّا توصل إليه العلماء في العصر الحديث حول الدراسة الاجتماعية للغة ، بل قد فاقه في بعض المسائل خاصة ما أتى به الجاحظ في ربطه الكلام بطبقات الناس وبالمهن والحرف ، فكان فاتحا المجال للحديث عما يعرف بلسانيات الكلام لا لسانيات اللغة.

أجل ، إن ما اتى به علماؤنا في ذلك الباب ، لا يقل أهمية عما هو موجود في بعض التخصصات الحديثة العهد التي تدرس العلاقة بين ما هو لغوي وما هو اجتماعي، من ذلك :

*علم اللهجات DIALICTOLOGIE

* علم اجتماع اللغة SOCIOLOGIE DU LANGAGE

*الإثنولوجيا اللسانية ETHNOLOGIE LINGUISTIQUE

إن تلك الأفكار يمكن ان نعثر عليها في كتابات : الجاحظ، وابن جني ، والإمام فخر الدين الرازي وأتباعه، وابن سينا، وابن وهب وابن قتيبة وغيرهم.